http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (2009) السنة الثامنة - الثلاثاء (11) كانون الثاني 2011

تحقيق ثقافي

انفتاح الجامعة على المشهد الثقافي الإبداعي

مثقفون: الأمر يحتاج إلى تفاعل بين الجامعة والمؤسسات الثقافية

◆ أساتذة الجامعات: المنتديات الثقافية انغلاق عن المؤسسات الأكاديمية ◆

أفراح شوقي- محمود النمر

سنوات طويلة مضت، كانت فيها المؤسسات الأكاديمية في العراق تجري على نسق من التكامل مابين نهجها التربوي والثقافي واندماجها مع المجتمع بمفاهيمه الإنسانية والعلمية على حد سواء، إضافة الى توجهاتها وحرصها نحو تكامل واندماج المشهد الأكاديمي مع المشهد الثقافي والفني. من يردم الهوة الحاصلة بين المثقف والجامعة ؟ ومن اين تبدأ الخطوة الأولى في التواصل .

المحررة مع ناظم السعود

عقدة التواصل

الشاعر المغترب فراس عبد المجيد استاذ في المعهد العالي للفنون التشكيلية في المغرب قال :الحقيقة يجب ان ننظر الى الموضوع بشكله المؤسساتي ،يعني الجامعة كمؤسسة هل هي منفتحة على ماهو خارج اسوار الجامعة ؟ام هي مقتصرة على الاكاديميين الذين يشكلون الركائز الاكاديمية ،هذه من جهة ..ومن جهة اخرى ،المثقف نفسه هل هو منفرد ام هو ضمن المشهد الثقافي كأن يكون في اتحاد الادباء او روابط الشعر والقصة والامكنة الثقافية ،هل هذه المؤسسات الثقافية التي هي خارج الجامعة هل حاولت ان تطرق باب الجامعة ؟ اذن نحن نحتاج الى عمليتين متفاعلتين من قبل الجامعة والمؤسسات الثقافية ،وهل هناك امكانية لمثل هذا التفاعل ؟قد تكون هناك فجوة من قبل الجامعة والمؤسسات بنظرة ضيقة كأن تكون حزبية او طائفية ،يمكن ان تجعلها على انماط معينة واسلوب معين ،متى ما تخلصنا من هذه المشكلات اعتقد تكون عقدة التواصل منطوية.

اكيد هناك فائدة كبيرة في التواصل لأن الطالب الجامعي لن يبقى محصورا في قواميس ومناهج الجامعة لابد له من الانفتاح على الحياة وعلى نبض الشارع ،وهناك امثلة كثيرة مثل محمود درويش هو شاعر كبير وغير اكاديمي ،لكنه كان يلقي محاضرات في الكثير من جامعات العالم وغيره من الادباء والمبدعين الذين هم خارج الجامعات وليس لهم علاقة بالمناهج ولكن من الضروري الاطلاع على تجاربهم الثرة في سبيل اكتساب التجربة من قبل الطلبة وهذا ما يحدث في جامعات العالم للاحتفاء والاطلاع على تجارب مبدعيهم ،الابداع لايولد من بطون المناهج الجامعية بل العكس ،وهذه الاشكالية تحتاج الى فهم وزج وانفتاح لردم الهوة.

سبعينيات القرن المنصرم

الكاتب والأديب ناظم السعود أوضح في بداية كلامه أن انغلاق الوسط الأكاديمي على المشهد الثقافي يرجع الى حوالي ثلاثين سنة خلت، فقبل السبعينيات كان هناك انفتاح وتواصل كبيران ما بين الوسط الثقافي والأكاديمي، وفترة الأربعينيات تعد من الفترات الذهبية، أيام دار المعلمين العالية، ذلك ان اهم شعراء العراق والوطن العربي خرجوا من هذه الكلية ولاسيما الرواد أمثال بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي وعشرات الشعراء والنقاد، كانت هناك علاقة جوهرية وصميمية بين الجامعات والوسط الثقافي العام، علاوة على وجود قواعد مشتركة بين اتحادات المنظمات الأدبية والفنية والمؤسسات الأكاديمية في العراق، وأضاف السعود: ان تلك العلاقات جعلت من الاستحالة بمكان ان يبرز أديب عراقي ألا من خلال تلك الكليات العلمية أو الإنسانية على حد سواء، الأمر الذي حفز الكثير من الأدباء العرب إلى المجيء للعراق كي يدرسوا في هذه الجامعات التي جذبت عشرات الأسماء العربية مثل سليمان العيسى وآخرين، فالتواصل مابين المشهد الثقافي والأكاديمي خلق حالة من الإمكانية لدى الطالب لان يكون مبدعا من خلال التواصل والانفتاح مع الوسط الأدبي ، لكن في السبعينيات من القرن الماضي حدث الخراب الكبير وليس الخراب الثقافي فقط، واقصد على مستوى الإنسان والموارد العامة انه خراب متعدد الأقطاب ، وكان من نتائجه ابتعاد الجامعات العراقية بشكل كامل عن المشروع الثقافي، ليس هناك اهتمامات صميمية كما كانت في الأربعينيات أيام الانتداب البريطاني، وكأن العملية مقلوبة ! فعندما كانت البلاد تعيش تحت الانتداب البريطاني كانت الجامعات تشهد حراكا ملموسا

علوان السلمان

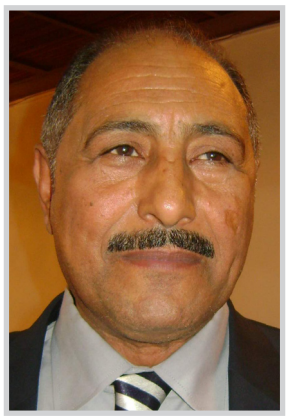

د. ميمون الخالدي

ضمن أوساط المجتمع لكن بعد التحرر والاستقلال حصل نكوص وابتعاد الجامعات عن استقطاب الأدباء وهو لا يخص الطلبة الذين يعيشون في الجامعة وإنما ايضا المنتسبين فيها ، واقتصر الوقت على الدرس المنهجي، بشكل تلقيني لأجل الامتحان والنجاح فقط ، وصار هناك جمود ثقافي كبير ، و هو شيء خطير بالتأكيد.

المنتديات الثقافية متهمة بالانغلاق على نفسها

ودافع الأستاذ الجامعي علوان السلمان الأمين العام لرابطة النقاد في الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين، بالقول ان المنتديات الثقافية هي التي انغلقت عن المؤسسات الاكاديمية في العراق، ففي أي نشاط يقام لا يتم دعوة الأديب او صاحب الخبرة او المثقف لتقول له انت مدعو لحضور نشاط ثقافي معين يقام في الجامعة الفلانية، في الفترة الأخيرة قامت الرابطة بفتح هذا المجال وفسحت المجال للأكاديميين بحضور هذه الجلسات مع عدد كبير من الأكاديميين ضمن انطلاقة مفرحة ومشجعة على الرابطة لأنها الفرع الأدبي الوحيد الذي استطاع ان ينهض بعبء المشاركة مابين الجهتين، أما الاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين فهو مقصر بشكل كبير في هذا الميدان، في حين ان الرابطة فتحت المجال واسعا حتى ان بعض النقاد العراقيين احتجوا على هذا العمل وقالوا هل تحول اتحاد الأدباء الى مؤسسة أكاديمية! وانا ارد عليهم بالقول أننا عندما نريد ان نتحدث عن قامة كبيرة مثل داود سلوم فمن يمكن ان يتحدث عنه مثلا؟ يجب استقدام أساتذة كبار لكي يتحدثوا عنه في الجامعات، وهكذا تبنى الثقافة العراقية، لدينا برنامج لاقامة الكثير من الجلسات والمنابر الثقافية في داخل الجامعات العراقية وان تتحول الجامعة الى صرح ثقافي متكامل، لتقف على ماهية وأهمية الإبداع العراقي الكبير. ولا يمكن إغفال دور الجامعات في فتح المجال أمام أدب القصاصين الكبار مثل احمد خلف وفاضل ثامر في النقد، ونشير فقط الى ان الجامعة تحتاج الى من يبادر لها، وفيما لو صار تبادل و تلاقح افكار بطريقة مشتركة ستحقق انتقالة مذهلة ففي الثقافة العراقية، انا ادعو من خلال مؤسستكم الكريمة (المدى) الراعية للاداب والفنون والإعلام إلى تلبية نداء الرابطة لاجل القاء المحاضرات الثقافية وتنظيم سياسة واحدة للعمل المشترك للفوز بثقافة مستقبلية واحدة.

مسؤولية وزارة التعليم العالي

د. ميمون الخالدي تدريسي في كلية الفنون الجميلة رمى بكرة المشكلة في سلة وزارة التعليم العالي قائلاً: المؤسسات الأكاديمية العراقية والجامعات منها على وجه الخصوص أريد لها منذ حوالي ثلاث او أربع سنوات ان تنقطع عن المجتمع، وكل من يطلع على تعليمات وزارة التعليم العالي يجد انها حاولت ان تقطع جذور اتصال كل اساتذة الجامعة بالمجتمع من خلال ما سمي بتفرغ الأستاذ من الصباح حتى المساء بحجج واهية وبدون تبريرات علمية والغاية منها هو فصل الجامعات عن المجتمع في حين ان الأخير هو المغذي والكاشف للكثير من الأطر العلمية التي يجب ان تنقل للطالب، يعني ان هناك دورة متكاملة مابين المجتمع والجامعة وبالعكس ولكن اريد لها ان تهشم وهي نظرة متخلفة علميا وخلل كبير عن حقيقة عمل الجامعة العراقية بداخل المجتمع باعتبارها صاحبة الرؤى والبرامج العلمية التي تحاول الارتقاء بالمجتمع قبل غيرها من المؤسسات، وشخصيا أقف ضد كل فصل غير علمي وغير حضاري بين الجامعة والمجتمع وهي الان على أشد أوارها، ويقع ضحيتها الطالب أولا وأخيرا اذ كيف يمكن نقل الخبرات من الأساتذة إلى الطلبة اذا ما تقوقعنا في مكان واحد!.

الحرث في جميع الفنون

واشار الروائي عبدالزهرة علي ينبغي ان يكون هناك تلاقح بين الثقافة المنهجية في الجامعة وبين الثقافة الابداعية ،وقد استضافت كلية اللغات الروائي المبدع حنون مجيد للتحاور مع الطلبة وهذا منح زخماً وحركة فاعلة للثقافة العراقية ،لأن العلاقة بين المثقف الاكاديمي والمثقف المنتج علاقة صميمية لتطبيق ما يوحد اراء الطلبة عندما يشاهدون المنتج والمثقف الابداعي تتوسم به افكار وخيالات ،غير المقاسات التطبيقية المنهجية ،ويولد حافزا لقراءة الكتب الخارجية من خارج الكتب المقررة وتعطي الطالب مجالا اوسع للادراك بحيث لاتبقى مرتبطة في المناهج التطبيقية فقط ،حتى وان كانت هناك مناهج أخرى تدريسية يعني مثلا الرواية والقصة ،والكثير من القصص والروايات العالمية يجهلها الطالب الأكاديمي ، لكن هناك تلاقحاً فيبقى متجاهلا لها وتبقى معرفته الأكاديمية ناقصة ،فالثقافة تعني الفنون جميعا ،السرديات والمسرح وكذلك هي سلوك ومعرفة .

ماهو رأيكم بالتفرغ للمبدع ..؟

التفرغ بالنسبة للمبدع يجب ان تتوفر فيه سبل العيش الكريم ،كيف يتفرغ وهو يبحث عن لقمة العيش ؟لهذا ترى المثقف والمبدع العراقي مشتتاً ،في كثير من المجالات تراه في الصحافة والوظائف المدنية وهذا التشتت يجعل من المبدع في حالة قلقة وغير مستقرة ، اما اذا كان تفرغا ايجابيا فهذا حلم نحلم به !

مازالت هناك فجوة بين الجامعة والمثقف وكأنهما ضدان لا يلتقيان؟

هذه الفجوة ليست وليدة اللحظة إنما هي نتائج متراكمة منذ سنين مضت في العهد البائد ،اذ كانت الجامعات مسيسة ،،فكان الفكر الواحد والقائد الأوحد وعسكرة الجامعة جعلت من الثقافة شيئاً ثانوياً ،والكثير من الطلاب تخرجوا وهم لم يلموا بمناهج كتبهم وللأسف.

نص الورقة التي ألقاها الفنان الرائد يوسف العاني في مؤتمر المسرح العربي في بيروت

رسالة المسرح العربي لعام ٢٠١١

يوسف العاني

ما أحلى وأبهى.. وما أعمق وأنبل وأكرم حين يجمعنا المسرح موحدين به.. منتمين إليه... من أكثر من موقع عربي..

أرى اليوم أمامي لبنان بمسرحه والخليج بمسارحه ومصر بمسرحها العريق والعراق بإصرار مسرحييه على العطاء وسوريا بتواصل عطائها ومسرح الأردن بنشاطه، أرى فضاءات المغرب العربي المتعددة لأعود إلى مشرقه.. أراه كله موحداً تحت شعار مبارك:المسرح العربي...

ولكن وأرجو إلا يستفزكم تساؤلي: هل لدينا حقاً مسرح عربي؟

لا تفكروا بالرد على هذا التساؤل الان.. فتتعبوا أنفسكم منذ سطور رسالتي الأولى.. أو ترددوا بصوت هامس أو عال وبعجلة نعم...أو لا..؟

فانا ما جئت لأقدم رسالة الهيئة العربية للمسرح حسب..

بل لأعيش أيام فرح معكم وبكم.. نتبادل الهموم المرة ممزوجة بحلاوة هذا الفرح.. وتظل عيوننا وقلوبنا متطلعة إلى الأمل.. فنحن كما قال سعد الله ونوس.. محكومون به..

××××

اليوم ٢٠١١/١/١٠ .. وأنا بينكم أبا وأخاً وزميلاً لن أعيد ما تضمنته الرسائل التي قرأت في يوم المسرح العربي في الأعوام الثلاثة الماضية لاسيما ما يتعلق- بما يجب علينا ان نعمله جميعاً- لأنني أؤيد ما ورد فيها جملة وتفصيلاً. وقد أضيف إليها توصيات أخرى.

في صغري كنت احلم بالوحدة العربية... أهتف لها وأسير في مظاهراتها الصاخبة معتقداً ان صراخي وصراخ أخواتي سيفتح أمامي حدود البلاد العربية كلها أتنقل فيها وكأنني أتنقل من بيت إلى بيت آخر لجاري أو شقيقي..

××××

وكبرنا ودخلنا مراكز الشرطة والمعتقلات أكثر من مرة وصار مسرحنا منذ بداياته يشكل جريمة يعاقب عليها القانون لأنه مسرح معارض، ودرست القانون ومارست المحاماة زمناً ولم أجد مبرراً لما اتخذ أو يتخذ ضدنا.

وجاءت أنباء من البلدان العربية الشقيقة ان هناك مسرحيين مثلنا... لكننا لم نكن ندري ماذا حل أو يحل بهم.. وبعد زمن قصير اكتشفت ان الوحدة التي هتفت لها.. والمسرح الذي بدأنا به صدقاً وأخلاصاً وشرفاً..لن يكتمل أو ينمو ويقوى أثراً وفرحاً وضوءاً في النفس إلا بالتعارف الحقيقي لكل منا ومسرح كل منا. وصارت السياسة التي تعنى بالإنسان في كل مكان جوهراً مسرحياً.

لقد أقمنا المؤتمرات والمهرجانات وصار من حسن حظي أو سوئه- لا ادري- إنني حضرت وشاركت فيها منذ عام ١٩٥٧ حتى بلغت ٥٨ مؤتمرا ومهرجاناً للمسرح.

ونحن في كل مرة نبحث عن مسرح يكون جسراً ثقافياً واحداً وان اختلفت جغرافية المكان الذي يصب فيه من كل بلد عربي.

كنا نصدر القرارات عسى ان نخطو خطوة ليكون لنا تأكيد على مسرح عربي متقارب له جذوره وبعده الأصيل... سيما وهناك محاولات جادة ومخلصة في أكثر من بلد عربي، لكنها ظلت في الخطوة نفسها التي انطلقت منها... كما ظلت قراراتنا في أدراج المسؤولين متكدسة مع آلاف الأوراق والسطور الملتوية الأخرى: دون ان ينفذ لها بصيص ضوء أو نسمة ريح لتتحول إلى فعل جاد مخلص..

وتتجدد العروض المسرحية بمهرجاناتها في أكثر من بلد فلا جديد إلا في العدد لا بالعدة حيث يكون الهدف إرضاءً "للفوق" بأن الكم قد زاد وان النوع قد تراجع أو ظل مقلداً أو قريباً من مدارس مسرحية تعلمناها أو استنسخناها وجئنا بها وما استطعنا إلا بالقليل والنادر لان نلائمها مع مسرحنا الذي نريد..

عام ١٩٧٣ تمت لنا محاولة جريئة في بغداد لان نقدم مسرحية "دون تبديل أو تعديل في النص.. وعرضناها في بغداد ثم في دمشق والقاهرة والإسكندرية..

بعد عرض المسرحية بدمشق جاءنا مدير فرقة فايمار الألمانية وهو أحد مريدي مسرح برتولد برشت.. ومن الذين اشتركوا في مهرجان دمشق نفسه.. جاء مهنئاً بنجاح العرض.. ثم قال:

- لقد شاهدت اليوم مسرحية عربية.. أعني ليست ألمانية بكل ما شهدت وبلا تقليد أو استنساخ لما نقدمه نحن.. مع ذلك كان برتولد برشت موجوداً: قلت له: لقد استضفنا برشت فصار ضمن مسرحنا. قال: هذا صحيح..

××××

هذه المحاولة ومحاولات عديدة أخرى وفي أكثر من بلد عربي- إذا ما استبعدنا واستثنينا المسرح الطارئ على الفهم الحقيقي لفن وثقافة المسرح- أكدت وما زالت تؤكد ان ما نقدمه في مسارحنا ليس "عالة" على مسارح الغرب او الشرق بل هي بمصافها بوعي وبقدرات ما عادت غفلة من الزمن الحضاري.. لكن الكثير من مسرحيينا ما زال يتوجس من ان يثبت حضوره وإبداعه الأصيل النابع من عمق وأصالة عطائه...

××××

إننا ورغم ما أشرت إليه علينا ان نعيد النظر في تجاربنا نحو الإيجاب والسلب.. وان نؤكد أهمية تعاون وتبادل الخبرة في البلد العربي الواحد أولاً. بين المسرحيين المبدعين أنفسهم لا ان تقف كل مجموعة ضد أخرى من اجل إلغاء عطاء الآخر وحتى المبدع فيه! بل ان يكون في منافسة شريفة نحو الأفضل.

الاستفادة من الرعيل الأول بما اغنوا وبما أبدعوا.. وأن نتبنى الشباب بصدق حماستهم المثقفة.. بما يقدمون من محاولات إبداعية مطورة لما كان.. وألا نقف موقف المتعالي على الكفاءات الجديدة.. فهي مفتاح المسرح الآتي... لا بد من أن نكون أمناء في اختيار ما نعرض في كل مهرجان عربي أو ودولي..

ان تكون هناك تجربة جديدة مضافة إلى تجارب أخرى لنتوحد فيها ونسير معها في درب المسرح الذي نريد..

××××

لقد صار العالم صغيراً لكن الأمل الذي كان يحكم فنان المسرح قد اتسع واتسع حتى صار حلماً.. يحكم الشباب والشيوخ.

فأنا وعمري المسرحي الان قد بلغ السابعة والستين بسنواته الطويلة وتجاربه الكثيرة التي تنوعت وتغيرت وتناقضت وتآلفت.. جعلتني محكوماً بالحلم بعد ان اجتزت مرحلة الأمل وصار علي ان انقل حلمي إلى كل المسرحيين العرب.. والى الهيئة العربية للمسرح بالذات لتعمل أو تحاول ان تعمل وأقول: تحاول أكثر من مرة لإزالة السدود والحدود.. واكرر تحاول لكي يتحقق المسرح العربي الواحد: مدرسة وفناً وفكراً..دون عزلة عن مسارح العالم بل بتميز جدير به وأصالة عريقة فيه بعد ان نتواصل بيننا ونصل إلى أفضل ما قدمه أشقاؤنا في هذا البلد أو ذاك.. أن نتبادل الرأي ونكتشف الرؤى سواء ما كان جديداً منها أو التي ما زالت تبحث عن السبل الخلاقة للمسرح الآتي لنا وان تظل الصراحة في الطرح أساساً صادقين مع أنفسنا أولاً.. كي نصل- مهما طال الزمن- إلى سمات وملامح وجذور في الشكل والمضمون ليكون مسرحنا بعد هذا "مصدراً" مسرحياً جديداً لا على صعيد مسارحنا وحدها... بل على صعيد المسرح العالمي كله.

حلمنا الذي نريده ان يتحقق حاجة نعيش مرارة فقدانها.. ألا يُسأل فناننا إلى أين أنت ذاهب ما دام حاملاً رسالته النبيلة الشريفة يجوب بها خشبة المسرح العربي الواحد، فهي هويته وجواز سفره.

لنرفع هذا الشعار المخلص بثقة وإصرار ونخرج به من لقائنا هذا في يوم المسرح العربي ونحاول ونحاول ونحاول تحقيقه على مختلف السبل والمستويات.. وأعلموا أيها الأصدقاء.. إن هذا الحلم ليس ابن اليوم.. بل هو حلم عدد كثير من مسرحيينا الأوفياء الباسلين الذين فارقونا وغادرونا إلى الأبد.. وهناك من ينتظر.. وأنا أولهم..

في ذكرى رحيل شيخ بغداد الدكتور حسين علي محفوظ

حسين علي محفوظ

د. صباح نوري المرزوك

عرف الدكتور حسين علي محفوظ بهذا اللقب لدلالته على حبه لبغداد وحرصه على الكتابة عنها والتعريف بها ، وقد عاش محفوظ سنوات موغلة بالإبداع وهو ممن تفتخر به الأمة في المجال الإبداعي والنهضوي والفكري والعلمي ، ولقد استطاع ان يلتفت في كتاباته الموسوعية إلى رفع الغبار عن كثير من المعارف والعلوم، فهو وريث المدرسة المعرفية القديمة يضاف إلى ذلك الاطلاع على المعارف الحديثة. فقلما نجد ان رجلا مثل الدكتور محفوظ قد وازن بين القديم والجديد، حيث برزت إلى السطح أفكار كثيرة في مجال الثقافة ، مثل قدم الخط العربي وانه مشتق من خط عربي أقدم ، وإشارته إلى الألفاظ وقدمها في دلالتها ومعانيها ، ورأيه في دور العروض العربي الذي ظهر تأثيره واضحاً في الآداب الشرقية ، وفي التقاويم الإسلامية وعلم الفلك وفقه اللغة المقارن .

لقد كان وداعه باردا لا يليق بمنزلته العلمية وكلما نشر وأذيع عنه حينذاك لا يتناسب وعمره الثقافي الذي بذله في البحث والكتابة .

ونتساءل عن مصير المخطوطات التي كانت بحوزته مستشهدا برأي الكاتبة الروائية لطفية الدليمي حيث ان السلطة السابقة قد تعمدت الاستيلاء عليها في الثمانينيات حيث أرسلت اليه أولا من يشتريها بثمن بخس ليتاجر بها بعض مهربي الآثار والمخطوطات ، وحينما رفض ذلك جرى الاستيلاء بطريقة رسمية وعلنية ، وبشكل همجي فحملوا كنوزه في عربات فحز ذلك في قلبه واثر على نفسيته ثم على صحته ، ونؤكد ما سمعناه انه طلب من هؤلاء ان يسمحوا له بنقل الملاحظات التي سجلها على مخطوطة (معجم القاموس المحيط) ولكن لا حياة لمن تنادي. والكاظمية عند محفوظ هي أخت بغداد وخطها وقرينتها ، فهي قامت حين قامت بغداد ، فراح يكتب عن تاريخها وخططها وشعرائها ومخطوطاتها وبيوتاتها وكل ما يتعلق بها.

ومن المعلوم ان محفوظ نشأ يتيما فكفله عمه محمد الذي هيأ له جوا للدراسة الرسمية ، وانه كتب الشعر وهو في الدراسة المتوسطة، ومن اهتماماته المبكرة الرسم ، فحصل على البكالوريوس عام ١٩٤٨م متأثرا بتدريسه من قبل أساتذة أفاضل مثل الدكتور مصطفى جواد والدكتور محمد مهدي البصير والدكتور عبد العزيز الدوري، ثم يختار طهران مكانا لدراسته في مرحلة الدكتوراه ويتخرج عام ١٩٥٢م متخصصا في الأدب المقارن ، ولما عاد إلى بغداد لم يعين في الجامعة وإنما عين مشرفا تربويا على ملاك وزارة المعارف ثم نقل بعد ذلك إلى ملاك جامعة بغداد وكان له الأثر في تأسيس قسم اللغات الشرقية نواة كلية اللغات فيما بعد.

اما محفوظ المجمعي فقد كان عضوا في مجمع اللغة العربية في دمشق منذ ١٩٥٢م وفي مجمع القاهرة منذ عام ١٩٥٦م وفي المجمع الهندي ١٩٧٦م. لقد كان محفوظ ناشطا وحاضرا في مجالس بغداد، وقد كتب عنه الكثيرون وأفاضوا في ذكر فضله وبيان أخلاقه ومتابعة نشاطه. لقد تركت وفاته عام ٢٠٠٩م أثرا في نفوس محبيه، وأصدقائه وطلبته، لأنه كما وصفه احد الباحثين (موسوعة متحركة).

عالمية المسرح العراقي

قاسم مطرود

masraheon@gmail.com

هل فكر احد مسرحيينا وأنا واحد منهم بان نكون في مصاف مسرحيي العالم ؟ وهل طمحنا إلى ان ندرّس نصوصنا ومناهجنا في كبريات العواصم العالمية، كما تتلمذنا، إن لم نقل نسخوا على عقولنا قدسية وهالة الحضارة والمناهج الغربية، يوم كنا نتلقى من أساتذتنا غير المجددين والناقلين ما نقل لهم، باستثناء القلة القليلة التي أثارت الأسئلة الكونية فينا.

تربينا ولسنوات طوال ونحن صغار على سماع كلمة (لا) على كل شيء، حتى على إمكانية النطق بأسمائنا، أو التعبير عن رغباتنا في شرب الماء، أو النوم أو الاستيقاظ، إن كلمة (اللا) هي الدرس البليغ الذي سرنا عليه جميعا ونحن نحبو، منع علينا الحضور إذا جاء الزوار، لأننا لسنا أهلا لتمثيلهم، وتسبق جلوسنا ألف (لا) إذا وضعت مائدة الطعام، ومن منا كان يجلس مكان الأب أو الأخ الأكبر وكأننا مازلنا تحت سلطة العبادة الأبوية التي تتبوأ الأمكنة والأزمنة في المخيال.

وعلى هذا الحال ذهبنا إلى المدارس وحقائبنا منتفخة بآلاف (اللاءات)، والمدرسة تعني لنا السجون الأبدية وبابها يعني المقصلة ووجه المعلم هو الجحيم ذاته إن لم نحضر الدرس لأي سبب كان، فأننا سنرمى في نار لها أول وليس لها آخر، ومن منا كان له الجرأة على ان يقترح أو يقول شيئا مخالفا للمعلم، أتذكر كنت اجلس إلى جانب معلم العلوم الأستاذ طارق، عندما كان يخرج الصف في الساحة كون الشمس مشرقة، وبهمس أساله هل يمكنني صنع طائرة حقيقية أو غسالة، وكان الجواب معروفا بالنسبة للذين حاولوا السؤال مثلي أو لم يحاولوا.

خرجنا من بيوتنا ومن مدارسنا ونحن مستعدون للانكسارات والهزائم والخيبات والخوف من الخوف نفسه، لم نعرف أية كلمة تشجيعية على التقدم إلى الأمام حتى ولو كان ذلك من باب الخيال، وكبرنا وكبرت معنا تراجعاتنا وهزائمنا الذاتية.

أخذنا الهزائم كلها التي أعدها لنا ممن لا يريد تقدمنا ومن ساعده من أبناء جلدتنا ممن باعوا أنفسهم للشيطان، لذا رضعنا مفهوم نكسة حزيران التي أبكت وهزمت ثقافتنا ومثقفينا وكأن وجودنا مرهونا بعبد الناصر وغيره من الأفراد، لقد استطاع من يريد تهميشنا من الخارطة العالمية أن يغرس مفهوم اليأس وعدم القدرة على الخلق والإبداع واعتبارنا في آخر الركب وفي تصوري هذا هو اكبر انجاز حققه من معاركه معنا.

وليس محل ذكر الأسماء التي قدمت خبراتها إلى الإمبراطورية الانكليزية قبل احتلالها الهند بان تفتت ثقافتهم وتجعلهم خواء ومن ثم تخترقهم.

ترى هل حدث شيء من هذا في ثقافتنا وإضعاف قدراتنا، واعني الوطن العربي كله ؟ ولكن ما يخصني الآن هو العراق، إذ وبعد غربتي وزيارتي الكثير من البلدان العربية وجدت بأنها اخترقت حاجز الآخر، ووصلت إليه، فمصر مثلا أثبتت وجودها على المشهد الثقافي العالمي وكذلك سوريا ولبنان والأردن وفلسطين وجميع هذه البلدان ليست نفطية، ولا تعد من الدول الغنية، فقط الثقافة والحضارة في العراق لم تتجاوز باب الدار، وكم أتمنى أن أتطرق إلى هذا الموضوع في هذه النافذة إلى إمكانية الوصول إلى الآخر ودعوته لتصفح منجزنا العراقي الذي يستحق الوقوف لماذا لا نقيم معارض خاصة لمنجزاتنا الحضارية في كبرى العواصم العالمية ونفتح مراكز ثقافية غير مؤدلجة وظيفتها إيصال الصوت العراقي سواء كان فنا تشكيليا أو مسرحيا أو سينمائيا، نحن المغتربين محتاجون سماع صوت الوطن قبل الآخر، أقمنا وبشكل شخصي عبر مؤسسة مسرحيين العديد من الأماسي للجالية العراقية والعربية بتقديم المسرحيات العراقية المسجلة على الأقراص ونقيم بعدها مناقشة عن الواقع الثقافي والهم المسرحي ضمن الطاولة المستديرة وقد نجحت أيما نجاح، لكننا بحاجة إلى العديد من الهمم والعمل الذي يسبقه ويسير إلى جانبه ومعه الضمير الحي النظيف.